Al-Basirah البصيرة
Volume 10, Issue 02, (Jul-Dec 2021)
https://albasirah.numl.edu.pk/ eISSN: 2222-4548, pISSN: 2520-7334

دراسة فنيّة لشعر معروف الرّصافي

An Artistic Study of the Poetry of Ma'rūf Al-Russāfī

Dr. Muhammad Saleem*
Dr. Syeda Bano**

Received: Nov 10, 2021 | Revised: Dec 28, 2021 | Accepted: Dec 31, 2021 | Available Online: February 05, 2022
DOI: https://doi.org/10.52015/albasirah.v10i2.51

ABSTRACT

Ma'rūf bin Abdul al-Ghanī al-Russāfi was a great Arabic poet and writer. As a great advocate of freedom he opposed his contemporary rulers of Irāq. He was known as a poet of freedom. After serving at various indigenous Educational Institutions, he started work as lecture at the Royal College Istanbul as lecturer, after the fall of the Ottoman Empire, he left Istanbul and travelled to Syria as the British authorities in Irāq. He settled in Damascus for one year. He returned to Irāq and started a newspaper: Al-Amal. He joined the committee for translation as its vice chairman. He became an inspector in the directorate of Education. He became a professor at Higher Teachers institution in end of third decade of nineteenth century. Ma'rūf Al-Rassāfī served his country as a social worker. He was acquainted with western literature through translation and his writing career while he was in Istanbul.

He wrote poetry in four chapters and this article is about his poetry entitled: An artistic study of the poetry of Maruf Al-Rasafi . His Arabic poetry is full of elements of rhetoric, as he uses similes metaphors, illusions, hints and other rhetorical phenomena. His Arabic poetry is full with new trends especially social and political trends. We tried to elaborate these trends with examples from his poetry. He uses new vocabulary style and terms in his poetry, we have tried our best to present all these elements from his Arabic poetry in this article. We have tried to present its contribution to Arabic poetry in Modern period. We tried to present its status among its contemporary scholars. The article describes a best collection of his rhetorical phenomena in his Arabic poetry.

Keywords: *Rhetoric, Poetry, Trends, Social Values, Irāq, Maruf Rusāfī.*

Funding: This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Correspondence Author: dr.arabic_gcuf@yahoo.com

* الأستاذ المساعد، ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية، فيصل آباد
** الأستاذة المساعدة، قسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية، فيصل آباد

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

الحمد لله الّذى أحسن كل شئى وبدأ خلقه خلق الانسان من طين ثم جعل نسله سلالة من ماء مهين وأتاه عقل سليم ولسان مبين وجعل اللّسان العربى أساس الألسنة ومخرجاً وأقومها منهجاً وأوضحها في العبارة بياناً، والصّلوة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وجعله أفضل الخلق سيّدنا محمد رسول الله ﷺ،أمّا بعد:

فهذه الدراسة القيّمة دارت حول الشّاعر العربى العراقى معروف الرصافي حياته وشعره وموضوعات وأغراض شعره بايجاز بالغ. فبدأ الرصافي شعره بالوصف وهو أقوى أغراض الشعرخاصة الوصف الاجتماعى والوصف الانسانى والوصف السياسى كما دافع الرصافي في شعره عن حقوق شعبه ووطنه وحضارته، ثم شعره الفلسفى والكونى.[1] وكذا نتحدّث عن محسّنات بديعية الواردة في شعر معروف الرصافي.

عبد الغني بن محمود الجبارى الحسينى المعروف بالرصافي، وكان كردياً من جانب والده وعربياً من جانب أمّه. وكان يعمل في حكومة الدّولة العثمانية، فولد معروف الرصافي في سنة 1875م بمدينة بغداد في منطقة الرصافة، وتلقى دروسه الابتدائية في الكتاتيب والمدرسة الرشيدية، ثمّ ترك هذه المدرسة والتحق بدروس العلامة محمود الشكلى الألوسى وحصل مهارة تامّة في اللّغة العربية وعلم المنطق.[2] وبعد تكميل دراسته، فعمل الرصافي محرراً في عدّة أماكن مثلما، عمل الرصافي محرراً في جمعيّة الاتحاد والتّرقى في مجلة: سبيل الرّثاء ثم عمل مدرساً للغة العربية في عدّة مدارس عراقية ومن أشهرها:السلطانية والوعظ وغيرها. وتولى الرصافي إصدار مجلّة :الأمل اليوميّة حتّى أصبح الرصافي مدرساً للغة العربية في دارالمعلّمين ثم عمل رئيساً للجنة الاصلاحات العلميّة في سنة١٩٢٧م.[3]

سنذكرمولّفات معروف الرصافي ألتى طبعت، فمنها:

الرويا : رواية تركيّة للأديب التركى نامق كمال، فقام معروف الرصافي بترجمتها الى اللّغة العربية وطبعت هذه الرّواية في سنة ١٩٠٩م بمدينة بغداد. **الأناشيد المدرسية** : وهذا الكتاب يحتوى على مجموعة من الأناشيد المدرسيّة وكل منها مدونة بالنوتة الموسيقية، فقام الرصافي بنظم الأناشيد المدرسية عندما كان في القدس مدرساً في دارالمعلمين، وطبعت هذه مجموعة الأناشيد بمدينة القدس في سنة ١٩٢٠م. **دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة** وهذا الكتاب يحتوي بتوضيح بعض الألفاظ العربية وغيرالعربية بين ألفاظ اللغة العثمانية، وطبعت هذا الكتاب بمدينة الأستانة في سنة 1313هـ. **ونفح الطيب في الخطابة والخطيب** ويحتوي هذا الكتاب على المحاضرات التي ألقاها الرصافي على طلّابه عند ما كان الرصافي مدرساً في مدرسة الواعظين وناءيباً في مجلس المبعوثان العثماني بمدنية الأستانة. ويحتوى هذا الكتاب على الموضوعات

1 قاسم الخطاط والآخرون، معروف الرصافي شاعر الأدب الكبير، إحياء المصرية لتأليف والنشر، 1391هـ، ص198-202

2 دكتور محمد شيخة، خطاب الواقعية ومقومات الفكر الحضارى، في شعر معروف الرصافي، بدون طبع، ص 63-64

3 محمد الباوي، عمالقة الأدب العربي المعاصر، دار الأرقم قاهرة مصر، 17/1

إبراهيم عبد الغني، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مكتبة الرابطة مجلس معروف الرصافي، بغداد، 103/1-5105

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

التربّوية وقصص الأطفال، وبعض النّكات العلميّة، فطبعت هذا الكتاب في سنة 1924م. **محاضرات الأدب العربى** وهذاالكتاب يحتوى على مجموعة المحاضرات ألّتى ألقاها الرصافي على معلمى المدارس الرّسمية عند ما كان يعمل في وزارة المعارف رئيساً للجنة التأليف والتّرجمة في سنة 1921م. **ودروس في تاريخ اللغة العربية** ويحتوى هذا الكتاب على مجموعة المحاضرات ألتى ألقاها الرصافي على طلّاب دارالمعلمين العالية في بغداد في سنة 1928م عندما كان الرصافي مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف وطبعت بمطبعة المعارف ببغداد. **على باب سجن أبى العلاء** ويحتوى هذا الكتاب على تعليقات الرصافي على كتاب مع أبى العلاء في سجنه للدكتور طه حسين، وطبعت هذا الكتاب بمطبعة الرشيد بمدينة بغداد. **ديوانى الرصافي** : وكان الرصافي شاعراً كبيرا عربياً وله ديوانين، طبع الثانى منها ست مرات. [1]

ومن كتبه غير مطبوعة : فنجد بعض الكتب القيّمة لمعروف الرصافي وهى كلآتى :

- خواطر ونوادر
- الرسالة العراقية
- آراء أبى العلاء
- كتاب الآلة والادارة وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات

الشخصية المحمدية

توفى الرصافي في سنة 1945م، [2] وقبل وفاته كتب الرصافي وصيّته ألتى قال فيها:"كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفى منه منفعتى الشخصية وانّما قصدت به منفعة المجتمع ". [3]

واكتسب معروف الرصافي شهرة واسعة بفضل أشعاره، فنظم شعره في الفخروالمدح والرّثاء والهجاء ومكتسباً نظريات واتجاهات جديدة وأجاد الرصافي في طرح المواضيع السياسية والاجتماعية، فنادى الرصافي بالتغيير ونشرالعلم وقضايا المرأة والقضايا على التّعصب الطبقى والظلم وانصاف الطبقة البأسة. فنجد في شعره مظهراً من مظاهر التجدّد والأغراض الشّعرية الجديدة كما هو يقول :

وللنّفس في أفق الشعور مخايل اذا برقت فالفكر من برقها قطر
وما كل مشعور به من شوونها قديرعلى ايضاحه المنطق الحر
ففى النفس ما أعيا العبارة كشفه وقصر عن تبياه النظم والنثر[4]

ان الصّلة بين الأديب أو لشاعر والمجتمع الذى ينتمى اليه عريقة جداً منذ العصر القديم، فالأدب في الأصل نشأته ولد من رحم المجتمع بما فيه من عادات وتقاليد فهو. . . الشاعر يستمد موضوعاته من هذا المجتمع، وسعى كثير من الباحثين والنقاد الى اثبات هذه الصّلة بين الأديب والمجتمع،

1 وليد العظمي، تاريخ العظيمية، مكتبة الرقيم بيروت، 1999م، ص571-1572
2 ذكي، محمد أمين، مشاهير الكرد والكردستان، مكتبة تحفيظ الأهلية، بغداد، 1945هـ، 919
3 ساجة الخلاف، اللغة الشعر لدى معروف الرصافي والعصر الإيقاء، بدون تفصيل، 212/38
4 الرصافي معروف، ديوان معروف الرصافي مراجية، متحف الجيلانية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، قاهره مصر، 234/1

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وقد قال ماركس بهذا الصدد: "ان الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحياناً العلاقات الاجتماعية". [1]

ومنهم من يرى أن الأدب (صورة معبرة تعبيراًحقيقياً عن المجتمع الذى يحيا فيه الأديب والذى تربى في أحضانه منذ نعومة أظفاره، وقد تفاعل مع مقوماته). [2]

وكان معروف الرصافي شاعر المجتمع الذى عاش فيه، ناقداً للظروف الحياتية وداعياً الى اصلاحها. ومن ملامح شعر الرصافي الاجتماعى فمنها المرأة وتعليم المرأة واختيار الزوج والعلم والجهل والبؤس والفقر والسبب النّفسانى وبيعة الشّاعر والحكمة وغيرها.

سنحاول أن نقدم موضوعات شعره كما نظم شعره بالعناوين الآتية: نحن والماضى، ومعترك الحياة، وأمّ اليتيم، والسّجن في بغداد، والدّهر والحقيقة، وفى سبيل حريّة الفكر. والى أبناء المدارس، والمطلقة، واليتيم في العيد، وسياسة لا حماسة، والى الشّبان، والدّهر، والى أبناء الوطن، والمعهد العلمى، وفى منتدى التهذيب، والفنون الجميلة، والحياة الاجتماعية، وفى سبيل الوطنية، وفى المدرسة : دارالتفيض، والمدارس ونهجها والعلم والاجازة فيه، والعلم، ودار الأيتام أومدرسة شنلر في القدس، والفقر والسقام، وتنبيه النيام، وسوءالمنقلب، والعادات، وبعد الدستور، وايقاظ الرقود والصديق المضاع، وبعد البين، ويقولون، وفى سبيل الوطن، وبين تونس وبغداد، وفى حفلة الشوقى، والأمة العربية: ماضيها وباقيها، وفى ايلياء، واتّجاه الريحانى، وبنى الأرض، والحمدلله للمعلم، وعرس مصر، ومن مضحكات الدهر، والشّارع الكبير، وعلى الخوان، وتحيّة سركيس، والى البلاغ، وفى حفلة الزهاوى، والى صاحبة الحياة الجديدة، والى المتعلم، واليتيم المخدوع، وميّت الأحياء وحى الأموات، ونحن في بغداد، ورقيّة الصريح، ومثنيات شعرية، والى المتقاعدين من ضباط الجيش، ودارتربية الطفل، وخزانة الأوقاف، والتعصّب الوطنى للأدب، وعتاب وولاء، ومناجاة وشكوى، وفى حفلة الميلاد النبوى، والى العمال وغيرها.

فنجد اهتماماً كبيراً بموضوع اليتيم في شعر معروف الرصافي كما نظم الرصافي أربع قصائد حول الموضوع المذكور فمنها: أمّ اليتيم واليتيم في العيد ودار الايتام واليتيم المخدوع وأنّها جميعاً، توجد في الجزء الأوّل من ديوانه وسلك فيها على مسلك حافظ ابراهيم في الذى عاش الحديث عن دور الايتام. أمّا حافظ ابراهيم (١٨٧٢ ١٩٣٢م) فقد نشأ يتيماً وعانى من مرارة اليتيم ما عانى، حيث عاش في كنف أبيه لأربع سنوات، بعد وفاة أبيه ثم عادت أمّه الى بيت أسرتها، وتوفى جدّه قبل ولادته فتولّى أمره وأمر أسرته خاله (محمد نيازى الّذى كان مهندساً بتنظيم القاهرة، وهكذا عاش حافظ عيشة ضيّقة في صغرسنّه. فكان يعرف أحوال اليتيم بحد بالغ كما هو يقول:

1 همايون، النقد الأدبي، ترجمة أحسن عباس ومحمد يوسف نجم، قاهرة، 15

2 عبد المنان الخفاجي، مدارس النقد العربي الحديث، دار المصرية اللبنانية، قاهرة، مصر 1995م، ص 1 و6
شاكر العبيدي، في رحاب الكلمة دراسة أدبية ونقدية، النجف الأشرف، 1992، ص1 و7

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

ثقلت عليك مونتى أنى أراها واهية
فافرح فانّى ذاهب متوجه في داهية[1]

و كان له مواقف انسانية كثيرة مع اليتامى ليس فقط في شعره ولكن ممارسة في حياته، أنّه كفل بنفسه طفلة يتيمة، وكانت اسمها (جليلية) ربّاها في داره. فواجه حافظ مشاكل كثيرة منذ ترك بيت خاله، لمواجهة الحياة منفرداً، فيكشف عن التجربات الحياتية في شعره بأسلوب خاص، فسلك معروف الرصافي بهذا المسلك مكتشفاً أحوال اليتيم في قصيدته "أم اليتيم ":

رمت مسمعى ليلاً بأنّه مولم فألقت فوادى بين أنياب ضيغم
وباتت توالى في الظلام أنينها وبت لها مرمى بنهشة أرقم

ويقول :

كأن نجوم الليل عند ارتحافها تصيخ الى ذاك الأنين المعجم
فها خفقان النجم الا لأجلها وما الشهب الا أدمع النجم ترتمى[2]

ان الرصافي يتميز بتقديم عواطفه ومشاعره وتعبيراته قوية بالحالات الانسانية البأسة في المجتمع، فنجد وصف البوس والبوساء في شعره. فيقول مصطفى السّقا عن شعر الرصافي في السياسة والاجتماع :" انهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ألتى تدل على أنّه كان سياسياً ووطنياً، بل كان انساناً من الطراز الأوّل في جيله ويتمنى الخير لبلاده ولأمه بل للعرب جميعاً وللشرق كله وتذوب نفسه حسرات عندما يرى البوس والضعف في شتى مظاهره ". [3]

أمّا قضيّة اليتيم عند الرصافي، فهى ذات شأن كبير، لكنها ما زالت تصطبغ عنده بالبوس والحزن والحرمان، فتبكى العيون وتدمى القلوب ومن أبرز قصائده بهذا الصدد: أم اليتيم واليتيم في العيد وهى أطول قصائده، والجدير بالذكر، وسلك الرصافي فيها أسلوباً قصصياً كما هو يبين أحداثاً ومواقف دراماياً تدور فيها فكره حول أحوال اليتيم والفقراء في العيد وصورته ألتى تختلف عن صورة الآخرين ويكشف الشّاعر فيها الرصافي مشاعره ومشاهداته كما تعكس سلوكه وأفكاره أكثر من تسليطه الضوء على اليتيم، فيقسم قصيدته الى ستة أقسام من ناحيّة مشاعره. فهى : الحديث وخروج الشاعر بعد صلوة النحر ليشاهد احتفالات الناس

1 حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، تقديم محمد كاني، الحياة الأمت للكتب، قاهرة، 1/22،20، 0

2 الرصافي معروف، ديوان معروف الرصافي مراجية، متحف الجيلانية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، قاهره مصر، 234/1

3 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

بالعيد ومشاهدة الصبى اليتيم الحزين وتسجيل موقفه من معاناة اليتيم واستعراض الشاعر مجموعة المآسى وذكر الشاعر شؤم العيد وذكر مأساة اليتيم، سنذكرها منفرداً بالأمثلة العديدة من شعره.

أمّا الحديث عن صباح يوم العيد، فيذكر الرصافي الحديث عن صباح يوم العيد وأثره في نفس اليتيم فهو يرى الناس منقسماً الى النوعين : النوع الأول: الذى يبتهج بالعيد والنوع الثانى : الشخص الذى يبتئس به كما هو يكشف في أشعاره:

أطل صباح العيد في الشرق يسمع ضجيجاً به الأفراح تمضى وترجع
صباح به تبدى المسرة شمسها وليس لها الا التوهم مطلع
صباح به يختال بالوشى ذو الغنى ويعوذ ذا الاعدام طمر مرقع
صباح به يكسو الغنى وليده ثياباً لها يبكى اليتيم المضيع
صباح به تغدوا الحالا ءل بالحلى وترفض من عين الأرامل أدمع
ألا ليت يوم العيد لاكان أنه يجدد للحزن جد والسرور تصنع
قد أبيض وجه العيد لكن بوسهم رمى نكتا سودا به فهو أبقع[1]

فيذكر الشاعر أحوال اليتامى والفقراء في صباح يوم العيد وانقسام الناس ما بين مسرور وحزين وغنى وفقير ويكشف عن مظاهر الحزن في التصنع في السرور الذى قد يظهره البعض تكلفاً ومدارة وكذا يذكر مظاهر الحزن مثلما البوس والحنى والحزن، فأصبح العيد للمحزون حزنا وللمكروب كرباً.

وأمّا خروج الشّاعر بعد صلوة النحر ليشاهد احتفالات الناس بالعيد، وفى هذا القسم يذكر الشاعرعمّا يشاهد خلال خروجه بعد صلوة العيد. فيذكر الرصافي حركات الناس في العيد، ومظاهر الغنى والفقر وألوان الاحتفالات الصاخبة في ذلك اليوم كما هو يقول:

خرجت بغد النحر صبحاً فلاح لى مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قدذرشارقاً ترى النورسيالاً به يتدفع
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع
وفى الحى مزمار لمشجى نعيره غدا الطبل في دردابه يتقعقع[2]

فيذكر الشاعر مشاهدته عند الصبى الحزين يقف بجوار أقرانه،فيعرف بداهة من ظهور بوادر البوس عليه، أنه يتيم، فيصور دقيقاً موثراًمستغرقاً في أحواله كما هو يقول:

1 أيضاً

2 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وقفت أجيل الطرف فيهم فراعنى هناك صبى بينهم مترعرع
صبى صبيح الوجه أسمر شاحب نحيف المبانى أدعج العين أنزع
يزين حاجبيه اتساع جبينه وفى عينه برق الفطانه يلمع
عليه دريس يعصر اليتيم ردنه فيقطر فقر من حواشيه مدقع
يليح بوجه للكآبة فوقه غبار به هبت من اليتم زعزع
يرد ابتسام الواقفين بحسرة تكاد لها أحشاوه تتقطع
ويرسل من عينيه نظرة مجهش وما هو بالباكى ولا العين تدمع
له رجفة تنتابهوهو واقف على جانب والجو بالبرد يلسع
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد على البرد من برد به يتلفع[1]

فيصور الرصافي تصوير الصبى اليتيم مكتشفاً خصوصية شخصه، ومتميزاً له من أقرانه مثلما صبى وصبيح الوجه وأسمر شاحب ونحيف المبانى ووأبعج العين وأنزع ويزين حاجبيه اتساع كما هو يقول: في عينه برق الفطانة يلمع. فيستعمل الشاعرمعجما لفظياً مثلما : عليه دريس يعصر اليتيم ردنه ويقطر فقر من حواشيه يليح بوجه للكآبة وفوقه غبار وتلقاه واجماً ويرد الواقفين بحسرة وأحشاوه تتقطع ونظرة مجهش وله رجفة تنتابه ولم يجد على البرد من برد به يتلفع. . . فهذه الكلمات تدل على مهارة الشاعر، كيف هو يعرف الصبى اليتيم وكيف الصبى اليتين يقف بين أقرانه. فصفاته مذكورة مشتركة بين الأطفال اليتامى في كل مكان وزمان.

فيقدم الشاعر الحوار الذى قام بينه وبين الصبى اليتيم مشيراً الى الموعد بينهما ويكشف الرصافي عن طموحه لمعرفة شأن الصبى اليتيم ويحرص شاعرنا على الابانة عن موقفه ازاء هذا اليتيم كأنه يريد أن يظهر عواطفه الانسانية بشكل خاص كما هو يقول:

فلما شجانى حاله وأفزنى وقفت وكلى مجزع وتوجع
ورحت أعاطيه الحنان بنظرة كما راح يرنو العابد المتخشع
و أفتح طرفى مشبعاً بتعطف فيرتد طرفى وهو بالحزن مشبع
هناك على مهل تقدمت نحوه وقلت بلطف قول من يتضرع
فهو يخاطب :
أيا بن أخى من أنت ما اسمك ما الذى ؟ عراك فلم تفرح فهل أنت موجع ؟
فهب أمامى من رقاد وجومه كما هب مرعوب الجنان المهجع
وأعرض عنى بعد نظرة يأس وراح ولم ينبس الى حيث يهرع

1 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

فعقبته مستطلعاً طلع أمره على البعد أقفوا الأثر منه وأتبع[1]

فرأينا في الأشعار المذكورة، يصور لنا الرصافي مدى اشتغاله باليتيم نحو التعرف على أحواله، نراه يقطع ذلك الجو النفسى المشحون بتعاطفه مع الصبى اليتيم بروية صديق له يذكره بموعد سابق ضرب بينهما كما هو يقول:

وبيناه ماش حيث رحت خلفة أدب دبيب الشيخ طوراً وأسرع
لمحت على بعد اشارة صاحب ي ينادى أن أرجع وهو بالثوب ملمع
فأومات أن ذكرته موعداً لنا وقلت له: اذهب وانتظر، فسأرجع

فيقص الرصافي علينا أحداثاً درامية ذات علاقة بصبى يتيم، فخرج بنفسه كما خرج بنا عن ذلك الجو النفسى الذى أدخلنا فيه وكذا يقص شاعرنا علينا حدثاً حقيقياً ثم يرجع الى موضوع اليتيم، ففر اليتيم منه ليدخل داراً، حين انشغل الشاعر منه، فهو يقول بهذا الصدد:

وعدت فأبصرت الصبى معرجاً ليدخل داراًبابها متضعضع
فلما أتيت الدار بعد دخوله وقمت حيال الباب والباب مرجع

فأراد الشاعر أن يكشف مأساة أخرى متمثلة في قصيدته المسمى : أم اليتيم، فهو يقول:

سمعت بكاءً ذا نشيج مردد تكاد له صم الصفا تتصدع
فحرت وعينى ترمق الباب خلسة وللنفس في كشف الحقيقة مطمع
أأرجع أدراجى ولم أك عارفاً جلية هذا الأمر أم كيف أصنع؟

فيظهرلنا أنه حريص أن يكشف الحقائق المستورة كما هو طامع في التقدم على مزيد من الحقائق المأسوية ألتى تزيد من حدة الموضوع وأثارته. وكذا يستعرض شاعرنا مجموعة من المأسوية كما كشف الشاعر لنا عن أم الصبى اليتيم، فأنه لم يهتم بتوضيح شخصية الصبى اليتيم، فهى شخصية درامية ألتى تظهر فجأة وهو واقف: فمر تعجوز في الطريق وكانت خلفها فتاة يغشيها ازار وبرقع فيسألها الشاعر عن اسمها: فتقول انها بوزع ثم يستقر عن هذا الصوت الباكى الحزين الذى سمعه في الدار فتجيبه العجوز في تعجب، ومنها يقول:

فقالت وأنت أنه عن تنهد و في الوجه منها للتعجب موضع
أيا بنى ما يعنيك من نوح أيم لها، من رزايا الدهر قلب مفجع

1 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وانى قد جارت على مواطنى فوادى على قطا نهن موزع[1]

فرأينا في الأشعار المذكورة، يستعرض شاعرنا شخصية العجوزة أى والدة اليتيم ليكشف عن المأساة، فهو يقول:

ألا انها (سلمى) تعيسة معشر من الصيد أقوت دارهم فهى بلقع
و صارعهم بالموت حتى أبادهم من الدهر عجار شديدمصرع
فلم يبق الا زوجها وشقيقها خليل وأما الآخرون فودعوا

فرأينا في الأشعار المذكورة، سعى الشاعر أن يقدم مجموعة من الحقائق أو المآسى التى جره اليها اليتيم شاخصة في والدة اليتيم وأخوها ألتى يكفل طفلها، فهو يعرض لهذه المآسى مجتمعة ليزيد من عمق مشاعره وفكره عن اليتيم. ويسعى الشاعر أن يتوجه الناس مطلوباً منهم الشفقة والمودّة. وكذا يقص الرصافي علينا حكاية فتاة مسكينة ووصفها بقوله: (شجا أرى أم ذاك طيف الخيال). ورأينا كيف يأتى الرصافي باستخدام الحوار ووتوظيف أسلوب الاستفهام كما هو يقول:

أيا بن أخى من أنت ما اسمك ؟ ما الذى عراك فلم تفرح، فهل أنت موجع[2]

وكذلك يتوجه الشاعر بسؤاله الى العجوزة (بوزع) يسألها عن الفتاة الحزينة (أم اليتيم)، فهو يقول:

تعرضتها مستوقفاً، وسألتها عن الاسم، قالت فعندى شرح ما نتوقع[3]

وجملة القول، يذكر الشاعر شوم يوم العيد، ويلتقى بأصحابه، ويقص عليهم حال اليتيم وعدم اهتمامهم بالأمر ثم يختم قصيدته بذكر حال شعبه ويلح الى جور حكامه وقسوته في ظلم شعوبهم، ثم يذكر بماضى الشعب الزاخر بالعدل الاجتماعى. فيأتى الرصافي بانشغاله بموجوع اليتيم وما يتعلق به وكذا اهتم الشاعربالجانب الصوتى تعبيراً عن مأساة الأرامل واليتامى. واهتم الشاعرعلى سرد الحدث بصورة درامية مستخدماً الجمل الفعلية وتكرار الصيغ بعينها. فيعرض الشاعر طريقة الندب في بكاء الميت، فنجح الشاعر في تقديم الصور الفنية والأخيلة والفكر القيم لايقاظ شعبه من النوم. فالكثير من قصائده تتحدث عن المسائل الاجتماعية ولا سيما الفقر والحرمان ولقب بشاعر البوسا، ونجده يتحرق قلبه حبا لأمه في شعره ولا سيما حين غادر العراق فقال:

1 أيضاً
2 أيضاً
3 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وطفت أذكر العرا ق فعاد صفوى ذا كدور
وزكرت من تبكى هنا ك على بالدمع الغزير
يا أم لا تخشى فان الله يا أمى مجيرى
ودعى البكاء فان قا بى من بكائك في سعير[1]

ثم لا نجده يتكلم عن أبيه في شعره، وأهس بنفسه مباشرة طعم اليتم والفقر والحرمان .
أما الأفكار والمعانى في شعر الرصافي، فنجد في شعره التأثير والتأثر بالتراث العربى مثلما تأثير القرآن الكريم كما هو يقول في قصيدته: اليتيم المخدوع :

سقاء من الردى كأساً دهاقا عفاف النفس والعرض السليم[2]

فرأينا في الشعر المذكور،يبدأ الشاعر من سورة النبأ :كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: (وكأساً دهاقاً[3]) وكذا قال الرصافي متحدثاً عن (دار اليتامى) فهو يقول:

وقفت بها أعاطيها التحايا واستسقى لساكنها الغماما[4]

فهذا واضح لنا، الشاعر متأثر بظاهرة الوقوف بالطلل والاستسقاء بالغمام كما نجد قول أبى طالب عن النبىﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[5]

وكذا قال الرصافي مشيرا الى قول عمرو بن كلثوم:

وترام كل من فجعوا بيتم صغار قبل ما بلغوا الفطاما[6]

فنجد الرصافي متأثراً بقول عمرو بن كلثوم كما هو يقول:

1 أيضاً
2 أيضاً
3 النبأ، 36
4 الرصافي معروف، ديوان، 125/1
5 التعميم القرشي، أحمد بن وهاب بن عبد الدائم، نهاية الأرب في فنون الأدب، ت: شهاب الدين النويرى، دار الكتب والوصية القمية، قاهرة، 1423هـ، 11
6 الرصافي معروف، ديوان، 345/1

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

اذا بلغ الفطام لنا صبى تكر له الجبابر ساجدينا[1]

وقال الرصافي متأثراً بقول عنترة بن شداد،فهو يقول:

و أ صبح قلبى وهو كالشعر لم تدغ له شعراء القوم من متردم[2]

وكذا نجد قول عنترة بن شداد كما هو يقول :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[3]

فاتّضح لنا من الأمثلة العديدة، بأن الرصافي يأتى باستخدام الكلمات والمعانى والجمل والتعبيرات المبتكرة ماخوذا من كلام العرب كما هو واضح. فنجد التعابير المحدثة المقبولة في كلامه. واستشهد الرصافي من الشعراء العرب مثلما الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين كما نجد أثره بشعرمتنبى. فهو يقول الشعر في الجمل والأفعال الماضية.

أمّا النزعة القصصية: فنجد أسلوباً تنوعاً في شعرالرصافي ومن قصائده قصصية: اليتيم في العيد والمطلقة والفقر والسقام وأم اليتيم وغيرها. وقد أهتم الرصافي بقضايا السياسية والاجتماعية في شعره تقديماً الصور البليغة والعواطف القصصية متجنّباً بالمظاهر البديعية المتكلفة. وكذا نجد قصيدته: أم اليتيم عدم الربطبين أحداثها. وكذا نجد الهبوط الى النثرية عند الرصافي ولا نستشعر في شعره حرارة الشاعرية، سنأتى بالأمثلة العديدة بهذا الصدد من كلامه: يقول الرصافي:

وبيناه ماش حيث رحت خلفه أدب دبيب الشيخ طورا وأسرع

فأومأت أن ذكرته موعداً لنا وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع[4]

وقد رأينا في الأشعار المذكورة، قوله :(وبيناه ماش) فيخرج قوله عن وتيرة الشعر وايقاعه. والشعرالثانى، فهو أقرب الى النثر بدلاً من الشعر وكذا نجد الشواهد الأخرى في كلامه كماهو يقول :

فأطلق من مسدسه رصاصاً به في الرمى تنخرق الجسوم

ولم يقتله (ابراهيم)،فيما أرى، بل ان قاءله (سليم)

أليس (سليم) الملعون أغوى (نعيما) فهو شيطان رجيم[5]

1 عامل يعقوب، ديوان عامر بن كلثوم، دار الكتب العربي، بيروت، 1994ه، 90

2 الرصافي معروف، ديوان، 256/1

3 أمين سعيد، شرح ديوان عنترة بن شداد، مكتبة تجارية الكبرى، مصر، 122

4 الرصافي معروف، ديوان، 1/ 257

5 أيضاً

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وقد رأينا في الأشعار المذكورة، يستعمل الشاعر كلمات: مسدسه ورصاصاً والمى وتنخرق، فهى ليست شاعرية، وكذا في قوله : (فيما أرى)فهى نثريةوهبطت من مقام الشاعرية، والشعر الثانى لا يختلف كثيرا عنه، ولا يتوافق مع الايقاع الشعرى. والجدير بالذكر، نستطيع أن نقول، يتعلق الرصافي بالمذهب الكلاسيكى كما هو يختار موضوعات الشعر مباشرة ومنسوبة الى المجتمع الانسانى، فهذا واضحة في قصائده:

أم اليتيم واليتيم في العيد واليتيم المخدوع والأرملة المرضعة.

وجملة القول، نستطيع أن نقول، كان معروف الرصافي شاعراً وأديبا عربياً كبيراً وواحداً من الشعراء المصلحين. فنجد في شعره الوصف والغزل والمدح والرثاء والحكمة وصور اجتماعية وانسانية بمظاهر الصنعة البديعية بالصور التقليدية والتعبيرات الصادقة. وشعره مملوء بالاجادة والابتكار مع أفكاره القيمة. وكذا وظف الرصافي أساليب بلاغية الأخرى مثلما الاستعارة والكناية كما نجد في قصيدته : اليتيم. وقوله:

فأصبحت ظمأن الجفون الى الكرى وان كنت ريان الحشا من تألمى

فظمأن الجفون الى الكرى : كناية عن افتقاده للنوم، والجانب الآخر من الصورة في الشطر الثانى، فنجد فيه الغرابة. وقال في مقام اخر:

أرى فحمة الظلماء عند أنينها فأعجب منها كيف لم تتضرم

فنجد الاستعارة المكنية واضحة : أى فحمة الظلماء وزادها بقوله: كيف لم تتضرم؟ وكذا قال الرصافي : قد أبيض وجه العيد لكن بوسهم رمى نكتا سودا به فهو أبقع.

فنجد في قوله :أبيض وجه العيد، كناية عن الفرح والبشاشة، وكذا نجد استعارة: أى وجه العيد، وفيه تشخيص العيد. وكذا جمع في صوره بين الكناية والتشبيه كما هو يقول في قصيدته: اليتيم المخدوع: فخر الى الحنين به (نعيم) كما انقضت من الشهب الرجوم

وقد كان الرصافي أكثر اهتماماً بشأن اليتيم وأطولهم وقوفاً عند همومه وقضاياه ماخوذة من تجربته ذاتية متميزة. وكذا نجد البواعث السياسية والشعورية في شعره. ونجد الأفكار والمعانى الجديدة في شعره بكثرة. ومن محتويات ديوانه : الكونيات والاجتماعيات والفلسفيات والوصفيات والحريقيات والمراثى ونساءيات والتأريخيات والسياسيات والحربيات والمقطعات. وللرصافى مكان رفيع في الأدب العربى الحديث بين معاصريه وترك تراثاً عظيماً خلفه.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)